

سيكولوجية التفاعل: العلاقة والرابط الاجتماعي.

Interaction psychology: relationship and social connection

رشيد بن راشد

جامعة محمد بن أحمد (وهران2)، benrached.rachid@univ-oran2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/20 تاريخ القبول: 2025/03/10 تاريخ النشر: 2025/03/25
ملخص:

لقد تمّت الإشارة سابقاً في قراءة تحليلية إلى الروابط الاجتماعية والعزلة الاجتماعية، وحالياً قمنا بالتركيز أكثر نحو إشكالية سيكولوجية التفاعل الاجتماعي في ظل العلاقة والرابط الاجتماعي اللذان يتشكّلان ضمن إطار سلوكيات وممارسات الأفراد والفئات والتي تعرف بالتفاعلات الاجتماعية.

إعتمدنا منهج القراءة التحليلية لرؤى وتوجّهات الباحثين والمهتمين في مجال التفاعلات الاجتماعية. وتوصّلت الدّراسة الحالية إلى العديد من النّقاط المهمّة التي أفرزت سيكولوجية تلك التفاعلات، وأبرز النّقاط هي تبلور السلوكيات والممارسات التي تصدر عن الفاعلين الاجتماعيين إلى علاقات تتعمّق فيما بعد لتصبح روابط إجتماعية تعكس مدى تشابك وتداخل التفاعلات بين أفراد وفئات المجتمع. كلمات مفتاحية: سيكولوجية التفاعل، علاقة، رابط اجتماعي

Abstract:

Previously mentioned in an analytical reading on social bonds and social isolation, more emphasis has been placed on the psychological problems of social interaction in the context of relationship and social connectedness formed within the framework of the behaviors and practices of individuals and groups known as social interactions.

We have adopted an analytical reading curriculum on the field of social interactions. The present study has found many important points that have given rise to the psychology of these interactions, the most prominent of which being the crystallization of attitudes and practices emanating from social actors into relationships that later deepen into social ties that reflect the interconnectedness and interplay of interactions between individuals and groups of society.

Keywords: psychological interaction, relationship, social link

*المؤلف المرسل: رشيد بن راشد

1. مقدمة:

يعتبر مفهوم التفاعلات الاجتماعية من المواضيع الحديثة والرائنة التي تناولها علم النفس الاجتماعي منذ بدايات القرن العشرين، تبلورت في عدة نظريات منها التفاعل الاجتماعي والتي تمحورت فيما بعد إلى التفاعلية الرمزية. وتعتمد هذه النظرية في محاولة تحليل تفاعل الأفراد قبل قيامهم بردود الأفعال، على اعتبار أنّ "جورج ميد" من الذين ساهموا في هذه النظرية، ويؤكد على أن التفاعل الرمزي هو الأساس لسلوك الفرد أثناء تفاعله مع الآخرين. ونجد كذلك نظرية التبادل الاجتماعي، لدراسة التفاعلات من خلال السلوك الإنساني المنبثق من دافع الحاجات وتحقيق الأهداف داخل المجتمع. ومن أبرز المنظرين لها "جورج هومانز"، وعليه فإن هذا الأخير، طالما كان يحاول إبراز السلوك الإنساني كنشاط تفاعلي يقوم على المشاركة والمبادلة التي تتوافق مع القيم والمعاني، بمبدأ المكافئة والعقاب. وتذهب هذه النظرية إلى أن الأفراد يتفاعلون بمنطق العقلانية للوصول إلى غاية ليست مادية فقط، وإنما تنطوي على العواطف والاحتياجات.

ولكن قبل صياغة مفهوم محدد للتفاعل الاجتماعي؛ تجدر بنا الإشارة إلى أهمية توفر البيئة المناسبة لحدوث الفعل وردود الفعل الصادرة من أفراد وفئات المجتمع كونهم الفاعلين من خلال تلك البيئة. فهذه الأخيرة تعكس تفاعلات هي مؤشرات لأبعاد العلاقات الاجتماعية والتي تتبلور فيما بعد وتتطور إلى روابط بعد قطعها لمراحل من تلك التفاعلات التي تتم بين أفراد وفئات المجتمع. فالحديث عن هذه التفاعلات هنا؛ يستدعي منا العودة إلى رؤى وتوجهات المفكرين والمختصين في مجال البحث عن مفاهيم تعكس أبعاد ومؤشرات العلاقات والروابط بين فئات أفراد وفئات المجتمع التي تبلورت في ظل سلوكيات وممارسات تعرف بالتفاعلات الاجتماعية. وعليه؛ يأتي التساؤل على النحو التالي: كيف كان ينظر للعلاقات والروابط بين أفراد وفئات المجتمع قبل الوصول إلى مفهوم التفاعل في وقتنا الراهن؟ وبصيغة أخرى: لماذا يجب ضبط المفاهيم حول العلاقة والرابط قبل تحديد المفاهيم عن التفاعل؟ وهل يمكن العودة إلى رؤى وتوجهات الباحثين في هذا المجال قبل ضبط تلك المفاهيم؟

إنّ الهدف من إجراء هذه الدراسة؛ هو إبراز مدى الطرح الذي خاض فيه الباحثين والمهتمين في مجال سيكولوجية التفاعلات الاجتماعية منعكسة في الرؤى والتوجهات التي سلطوا الضوء من خلالها حول تلك التفاعلات. وانحصرت في الأساس بين العلاقات والروابط الاجتماعية، أي بمعنى ضبط المفاهيم التي تعكس أبعاد ومؤشرات التفاعلات الاجتماعية إنطلاقاً من العلاقات وتبلورها إلى روابط عبر بيئة يتفاعل خلالها الأفراد وفئات المجتمع. ولقد تركّزت أهمية إجرائنا للبحث الحالي؛ تقديم أهمّ ما جاء في مسلمات الباحثين والمهتمين حول سيكولوجية التفاعلات الاجتماعية لغرض الوصول إلى أطروحات مساهمة في فهم تلك التفاعلات، كي ينفرد بها الباحث أو الدّارس في المجال الذي تخصّصه فيه، وقبل إعطاء أيّ مسلمات قبلية في هذا الشأن.

إنّ لكلّ دراسة منهج بحثي يضمن مدى تحكّم الباحث طيلة قيامه بمجريات الدّراسة. وعليه؛ قمنا باعتماد منهج القراءة التحليلية مستندين إلى تسليط الضوء أكثر نحو أبعاد التفاعل الاجتماعي متمثلة في العلاقة والرابط بين أفراد وفئات المجتمع. وخلالنا قمنا كذلك بتفكيك الظاهرة إلى أجزائها في مؤشّرات تعكس العلاقة والرابط ليتمّ بعد ذلك إعادة تركيب الأجزاء لإعادة بناءها وفق رؤى وتوجّهات الباحثين والمهتمّين بمجال التفاعلات الاجتماعية واستقراء العلاقة والرابط بين أفراد وفئات المجتمع. وفي الأخير أتينا إلى بلورة كلّ تلك الرؤى لنصل إلى نتائج يتمّ تعميمها كمفاهيم سيكولوجية للتفاعلات الاجتماعية. وللإشارة فإنّ كلّ عمل بحثي غالباً ما يتضمّن بعض المفاهيم والمصطلحات المفتاحية التي عبرها يمكن للقارئ الفهم أكثر والوصول إلى ما يردده الباحث في طرحه. وقد تخلّلت دراستنا الحالية بعض المصطلحات كالآتي:

● سيكولوجية التفاعل:

"سيكولوجية" في اللّغة العربية إسم مؤنث ل: "سيكولوجي" هي عبارة دارجة في اللّغة بمعنى دراسة نفسانية أتت لتفيد حاجة المتخصّصين في إجراء بحوث حول النّفس البشرية. والتفاعل هو فعل. ويقال: تفاعل، يتفاعل، تفاعلاً، فهو متفاعل. فالتفاعل هو تأثير شيئين على بعضهما البعض. ونقول تفاعل مع الحدث أي بمعنى تأثر به. فالتفاعل هو ردود أفعال في وجود تأثير متبادل بين شيئين (عمر، 2008، صفحة 113).

في الاصطلاح عندما يقترن مفهوم "سيكولوجية" بمفهوم آخر؛ فهو يرمز إلى الجانب النفسي، فالسيكولوجية هي السلوكيات والممارسات لردود أفعال فردية أو لفئات مجتمعية. فسيكولوجية التفاعل تعكس مدى تلك السلوكيات الصّادرة من أولئك الأفراد والفئات (رشيد، 2023، صفحة 101). أمّا تعريفنا الإجرائي لمفهوم

سيكولوجية التفاعل؛ فهي تجاوبات الفاعلين، تعكسها سلوكيات وممارسات خلال بناء علاقاتهم وروابطهم المجتمعية.

• علاقة:

في معجم اللغة العربية نقول علاقة بفتح حرف العين في الأول، وجمعها علاقات وعلائق. ونقول أيضاً علاقة بكسر حرف العين. ويقال في اللغة تعلّق، يتعلّق، تعلّفاً، فهو متعلّق. والعالق هو الشخص الذي وقع في مأزق أو ورطة. فالعلاقة من تعلّق طرف بطرف آخر. والعلاقة هي الصلة كذلك بين تلك الأطراف (عمر، 2008، صفحة 789).

يتمّ الإصطلاح على مفهوم العلاقة نسبة إلى مدى حاجة طرفين إلى بعضهما البعض، سواء كان ذلك بين فرد وآخر، أو بفرد ومجموعة من الأفراد، أو بين فئات مجتمعية وفئات أخرى. وتبنى العلاقة غالباً وفق مصالح مشتركة بين طرفين، كعلاقة الطّالب والأسّاذ، وعلاقة التّاجر والزبون.. وغيرها من المصالح. باستثناء العلاقات التي تبني عواطف متبادلة كعلاقة الوالدين والأبن، وعلاقة الزوجين. فالعلاقة تنطلق من مبادئ ثلاث: إنجذاب طرف لآخر لأسباب سيكو نفسية. ثانياً بسبب عاطفة قوية كعاطفة الأم والأب. وأخيراً لوجود حاجة ملحة تبني وفق مصالح مشتركة، وفي بعض الحالات تكون أحادية الجانب (رشيد ب.، 2022، صفحة 117). أمّا إجرائياً فقد أتى مفهوم العلاقة متضمّناً التفاعلات التي تحدث بين الأفراد والفئات المجتمعية، وهذا بطبيعة الحال من منظور سيكولوجي.

• رابط اجتماعي:

معنى الرابط في معاجم اللغة؛ هو اسم فاعل من ربط بفتح الباء وسط الكلمة. والجمع: روابط. واسم المؤنث: رابطة. وجمعها رابطات. وفي اللغة العربية: رابط اجتماعي هو معنى مستحدث في اللغة المعاصرة التي تحاول خدمة اللّغويين في

إيجاد المصطلحات المناسبة التي تفيد معاني العلوم الاجتماعية والانسانية، والتي يبحث عنها الباحثين والمهتمين بهذا المجال (عمر، 2008، صفحة 298).

ولقد تمّ الاصطلاح على مفهوم الرابط الاجتماعي إفادة لمعاني تبحث في مدى عمق العلاقات التي تتشكّل بين فئات مجتمعية سواء كانت فردية أو جماعية، لتصبح روابط بين تلك الأفراد والفئات (رشيد ب.، 2022، صفحة 119). وإجرائياً فمفهوم الرابط الاجتماعي؛ تلك العلاقات الاجتماعية التي تعكسها سلوكيات وممارسات أفراد وفئات بعد تشكّل علاقات، وهذه الأخيرة حينما تتعقّد وتتداخل تتبلور إلى روابط إجتماعية.

2. مناقشة:

يرى العديد من الباحثين والمختصين بأن مفهوم التفاعل الاجتماعي يعود إلى الفكر الخلدوني. فقد أشار إلى ضرورة تفاعل الإنسان في مجتمعه، بمعنى أنه نشاط اجتماعي يتبادل من خلاله الأفراد والجماعات الأفعال والردود في المواقف الاجتماعية. وفي العمران البشري عند "ابن خلدون"؛ هي مجموع تجمعات متفاعلين فيما بينهم، يؤثرون ويتأثرون بردود الفعل المتبادلة، والتي تعزز بدورها من قوّة الروابط والعلاقات داخل ذاك التجمع البشري. فالحياة الاجتماعية من المنظور الخلدوني؛ تقوم على التعاون الإنساني بين أفرادها، والتفاعل داخل المجتمع لتحقيق التعايش، في وجود الطمأنينة والراحة النفسية للحصول على الحياة الكريمة (خلدون، 2012، الصفحات 97-102-109). ويمكن الاستنباط بأن وجود التفاعل الاجتماعي هو حاجة ملحة تسعى لقيام نظام اجتماعي يحافظ على ضبط العلاقات المتبادلة بين الفاعلين، مما يساعد على إحداث سلوكيات اجتماعية تفاعلية تختلف وتتباين حسب طبيعة البناء الاجتماعي.

وفي النظرية السلوكية نجد "سكينر" ورؤيته حول التفاعل الاجتماعي، مؤكداً على أن الأفراد والجماعات يتفاعلون في وسط مبني على التأثير والاستجابة، وبما أن

الفاعلين اجتماعيين بطبيعتهم؛ فهم ليسوا سلبيين في تفاعلهم، وباستطاعتهم التفاعل مع المؤثرات التي يتلقونها في تنشئتهم الاجتماعية القائمة على السلوك الناتج عن التفاعلية كنتيجة للاستجابة المتبادلة في أي موقف أو مناسبة اجتماعية. فيكون سلوك الفاعل (الفرد أو الجماعة) مؤشراً له دلالة على سلوك الطرف الآخر، وتكون التفاعلية مبنية في الأساس على الاستجابة المتبادلة بين الفاعلين. ويرى "سكينز" على أن التفاعل قبل أن يبدأ أو يستمر بين الفاعلين؛ لا يكون إلا في وجود تحفيز سلوكي أو دعم لتحقيق المبادلة المشتركة والتي تقوم على مبدأ الإشباع والحاجة داخل المجتمع (كاظم، 2017، صفحة 7592).

ومن النظريات المفسرة للتفاعل الاجتماعي؛ التشابه والتجاذب بين الأشخاص. قام "نيوكمب" بدراسة أنماط سلوك الفاعلين ونقاط التشابه في التوجهات والقدرات، فسلوك الفرد المتفاعل قد يتغير نتيجة تغير سلوك الطرف الآخر. فتمط التفاعل يتوازن لوجود علاقة بين متفاعلين يحملون سلوكيات تتشابه في الآراء والاتجاهات إزاء رؤية لموقف معين. ويحدث العكس، فيصبح نمط العلاقة متوتراً بين المتفاعلين المتآلفين الذين يرون في الموقف الواحد رؤى متعددة ومختلفة، فائتلاف الفاعلين ليس بالضرورة ينتج عنه علاقة متوازنة، وتباين التوجهات عند الفاعلين يستلزم عنه علاقة متوترة. فالتفاعل الاجتماعي يسنده "نيوكمب" في الأساس إلى مدى الجذب والمشابهة بين الأطراف المتفاعلين لحدوث التفاعلية، وتوازن العلاقة مرجعه إلى توافق الرؤى والاتجاهات التي يحملها الفاعلون للموقف الواحد. فتخلص هذه النظرية في الأخير إلى مدى القرب والتآلف الذي يحمله الفاعلون يقوي العلاقة بينهم نتيجة موافقة نفس التوجهات التي يتشاركون فيها مع الطرف الآخر (فيبر، 2018، الصفحات 36-39-41).

من المساهمات التي قدمها "بيلز" في مجال التفاعل الاجتماعي؛ محاولته تقسيم مراحل وتحديد أنماط التفاعل الاجتماعي، خلال الملاحظات المستخلصة

بعد استكمال الدراسة لتحليل ديناميكية الفرد والجماعة. وتوصل إلى المراحل التالية: أولاً التعرف، بمعنى الوصول إلى معلومات وإيضاح المشكلة. ثانياً التقييم، الشعور بالأهمية نحو المشكلة لإيجاد نقاط مشتركة بين الفاعلين. ثالثاً الضبط، وهو التركيز على تقديم اقتراحات بتوجيه كل السبل الممكنة في تحقيق العمل التفاعلي. رابعاً تبني القرار، يعني اعتماد الرفض أو الموافقة لسلوكيات الفرد أو الجماعة. خامساً ضبط التوتر، بمعنى المحافظة على انسجام التفاعلية. وأخيراً التكامل، الموازنة بين التفكك في إبراز الذات، والتماسك في إعلاء شأن الآخرين. وعلى غرار هذا، ساهم "بيلز" في تقسيم التفاعل الاجتماعي إلى نمطين، وكل نمط يتفرع إلى صنفين: التفاعل الاجتماعي المحايد، يتضمن الأسئلة حول المراحل الثلاثة التي ذكرناها سالفاً. في مقابل التفاعل الاجتماعي المحايد، يتضمن الإجابات حول المراحل الثلاثة الأولى. أما النمط الثاني؛ التفاعل الاجتماعي الانفعالي الإيجابي، تكون فيه ردود الفاعلين تتوافق وتشجع سلوكيات الأطراف الآخرين. والتفاعل الاجتماعي الانفعالي السلبي، تتميز فيه التفاعلية بالتوتر مع ردود أفعال مخالفة للطرف الثاني من الفاعلين. وما يلاحظ من تقسيمات "بيلز" أنه أراد يظهر ديناميكية التفاعل بين الأفراد والجماعة في إبراز دور التآثر والتأثير في سلوكيات الفاعلين المتبادلة (فيبر، 2018، الصفحات 99-107).

كان اهتمام "كونت" بتنظيم وإعادة بناء المجتمع وفق فلسفته الوضعية محاولاً تأسيس أفكار تقوي الرابط الاجتماعي عن طريق تعزيز النظام الأخلاقي، فكان بحثه في الأساس عن علم يعالج فوضى الاجتماع، ووضع بما أسماه "كونت" الفيزياء الاجتماعية، ساعياً إلى تفسير الروابط الضرورية القائمة على بناء المجتمع والذي يستمد قوته من تضامن الأفراد والجماعات داخله وفق نظام يوزع الوظائف الاجتماعية، مع الاعتبار بأن الأسرة هي البناء التركيبي الأول في المجتمع. وفي المقابل يرى "كونت" أن الفردية الخالصة لا تعزو إلى أية قيمة اجتماعية، والفرد عندما

يكون منعزلاً لا يمثل جزءاً من التركيبة الاجتماعية، إنما يعكس فقط قوّته الطبيعية. لأنها تبقى بعيدة عن الإتحاد والمشاركة بين أفراد المجتمع، وهو ما عرف سابقاً عند "كونت" بمبدأ التعاون والتضامن الذي هو أساس الرابطة الاجتماعية (ميل، 1961، الصفحات 48-51).

ولقد حاول "فرديناند تونيز" تطوير نظرية اجتماعية بخصوص الجماعة والمجتمع، فكان يرى أن الروابط الاجتماعية تمر على تغيرات انتقالاً من الجماعة إلى المجتمع. فالأولى تمثل المجتمع الصغير (المحلي) والذي تكون فيه العلاقات قائمة على العاطفة مشتملة القرابة والجوار بين أفراد تلك الجماعة التي تحمل نفس الأفكار والأهداف المشتركة. تكون تحت سلطة واحدة مثل الدين والعادات والثقافة العامة. فإن هذه الرابطة في الأساس تنبع من الإرادة الإنسانية الطبيعية، والاتفاق هو من ميزات هذا المجتمع المحلي. وأمّا النمط الثاني من الرابط الاجتماعي عند "فرديناند" فيكمن في المجتمع الكبير (المدني) الذي يشمل الجماعات على اختلافها وتنوعها. ويكون ترابطها وفق إرادة عقلانية مبنية على التعاقدية الرسمية لتنظيم الروابط بين أفراد الجماعات لتكون خاضعة لتكامل المصالح المتبادلة وتحقيق المنفعة. ومن أهم ميزات هذا المجتمع هو سيطرة الشخصية التي تغلب عليها الفردية. فالروابط الاجتماعية عند "فردناند" تنقسم إلى نمطين: الأول يمثل المجتمع العضوي الذي يقوم على الإرادة الطبيعية والذي تكون فيه العلاقات حقيقية أبرزها رابطة العاطفة، والنمط الثاني هو المجتمع القائم على التفكير في وجود إرادة، ما يدعى بالإرادة المفكرة. وتكون فيه الروابط الاجتماعية قائمة على المادية + في ظل الفردية الطاغية داخل ذلك المجتمع (ميل، 1961، الصفحات 67-72).

وبالنسبة لمفهوم الروابط الاجتماعية عند "إميل دوركايم" هو البحث عن حقيقة البناء الاجتماعي فيما عرف عنده بالتضامن الاجتماعي، يظهر من خلال عمله الذي تضمن تقسيم العمل الاجتماعي (1893). فالرابط عند "إميل" في المجتمع

البسيط (التقليدي) يتمثل في التضامن الآلي، يكون فيه بناء المجتمع على أساس العلاقات التي تنطوي في ظل المسؤوليات المشتركة ويؤدون تقريباً نفس المهام يحملون عواطف مشتركة، مثل الدين واللغة والعادات والثقافة الواحدة. فالرابطة في هذا المجتمع تتسم بالبساطة وعدم التعقيد، ولهذا سمي بالتضامن (الترابط) الآلي. ولكن عندما تطرأ التحولات والانتقال من المجتمع التقليدي إلى الحديث، فيصبح البناء الاجتماعي فيه أكثر تعقيداً، لتباين وتعدد المسؤوليات للأفراد، فيكون البحث عن التكامل لتحقيق الرابط داخل ذلك المجتمع. ولهذا أطلق عليه "إميل" بالتضامن العضوي، فمن الواضح أن اختلاف الوظائف الاجتماعية أدى إلى مزيد من التخصصات، في حين أن العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الحديث أصبح يحكمها التعاقد العقلاني عن طريق الشرائع والقوانين بعيداً عن العواطف والعادات والتقاليد (رشيد ب.، 2022، صفحة 122).

ويشير "شارلز كولي" إلى الروابط الاجتماعية من خلال تفاعلية الجماعات داخل المجتمع وتصنيفها إلى مجموعات أولية وأخرى ثانوية ظهرت في مؤلفه: التنظيم الاجتماعي (1909). يكون الرابط بين أفراد المجموعة الأولى مبني على العلاقات المباشرة مثل الأسرة، وأفراد هذه المجموعة يشتركون في عدة خصائص منها العاطفة والقربة والثقافة الواحدة، وهذه الرؤية توافق التضامن الآلي عند "إميل" فيما تحدث عنه نحو المجتمع المحلي. أما بالنسبة للمجتمع الثانوي عند "كولي" فهو المجتمع الحضري الذي يتسع في مساحته وعدد أفرادها، تكون فيه الروابط بين الأفراد والجماعات معقدة تبنى على العلاقات الاجتماعية في تفاعلية تبادلية، تغيب فيها المشاركة والمواجهة الفعلية التي تحدث بين الأفراد والجماعة، مثل التنظيمات والجمعيات، وما يميز هذه العلاقات هو الوظائف الاجتماعية التي تسير وفق لوائح وقوانين وضعية غايتها تحقيق المنفعة بعيداً عن كل عاطفة وجدانية. واستمرار هذه الروابط متوقف على دوام المصالح الشخصية (رشيد ح.، 2022).

وعندما نأتي إلى "ماكس فيبر" نجد أنه قد أشار لكيفية بناء الرابط الاجتماعي من خلال البعد التنظيمي والفعل الاجتماعي لسلوك الفرد وعلاقته بالآخر، وكان تركيزه على محاولة فهم الروابط الاجتماعية في وجود التطورات لعصر الحداثة وخصوصاً المجتمعات الغربية والرأسمالية الحديثة، والتي تمخض عنها مفهوم العقلانية (فيبر، 2018، الصفحات 53-54). ويُرجع "فيبر" ثبات واستقرار الروابط الاجتماعية وصيرورتها إلى العقلانية، بمعنى زيادة الفعل الاجتماعي الذي ينطوي على السلوك الفردي وما يشمله من اتجاه داخلي أو خارجي يفسر القيام بالفعل أو الإعراض عنه، فيكون الفعل ذاتياً عندما يصل إلى مستوى سلوكه، ويصبح اجتماعياً عند ارتباط الفرد بسلوك الآخرين داخل المجتمع. وقام "فيبر" بوضع أربعة مستويات للفعل الذي يعكس سلوك الفرد في البناء (الرابط) الاجتماعي: الأول هو الفعل التقليدي الذي يتصدره سلوك الفرد النابع من التقاليد والعادات. والمستوى الثاني من الفعل؛ هو العاطفة التي ينبثق عنها سلوك الفرد من حالات شعورية للفرد والجماعة. والفعل الثالث هو السلوك الفردي الموجه نحو غاية محددة، يكون الاختيار السلوكي للفرد واضحاً ومحدد الأهداف، وأخيراً مستوى الفعل المنبثق عن قيمة مطلقة، فيكون السلوك الفردي أخلاقياً أو دينياً غير محدد بشروط مثبتة. فمن الواضح أن معرفة طبيعة التفاعلية للأفراد داخل المجتمع، تسهل فهم تشكل الروابط للعلاقات الاجتماعية (فيبر، 2018، الصفحات 68-79).

ومن جهة أخرى نجد "جورج زيمل" في منظوره السوسيولوجي واهتمامه بالظاهرة الاجتماعية، أنه يعود إلى لفهم المجتمع من خلال الروابط والتي تُعزى إلى تفاعلية الأفراد كونها جزء من تركيبته الاجتماعية، وأن العلاقات المتبادلة فيما بينهم تقوم على أساس الصراع والتنافس والتعاون داخل المجتمع. لكن "جورج" تعدى مفهومه إلى محاولة إيجاد فارق بين المحتوى والشكل للتفاعلية، فالمحتوى تمثله العواطف والمصالح والأهداف المختلفة، وهي الدافع السيكولوجي للأفراد في

روابطهم الاجتماعية، وتحقيقها يكون عبر أشكال مختلفة للبناءات الاجتماعية وتعرف الفاعلية فيها بالتغير والنسبية. أما الشكل الخارجي فهو النمط والإطار العام ويعرف بالأشكال الثابتة الذي لا تتغير فيه الفاعلية بين الأفراد مهما كان اختلاف نوع النشاط على غرار الأولى التي تعرف التغير الدائم في فاعليتها داخل المجتمع. بمعنى أن "جورج" كان يرى أن الرابط الاجتماعي ينعكس في صور العلاقات المتبادلة بين أفراد المجتمع بالرغم من اختلاف التفاعلية (ميل، 1961، الصفحات 154-157).

وفي خضم رحلة البحث عن مفهوم الرابط الاجتماعي نجد كذلك المفكر الجزائري "مالك بن نبي" ورؤيته التي تلخصت في مؤلفه "ميلاد مجتمع"، تنطوي على فكرة أساسية تكمن في فهم العلاقات بين الأفراد وفئات المجتمع التي تربط العوالم الثلاث (الأشخاص، الأفكار، الأشياء) واعتبارها ديناميكية تحقق الوظيفة التاريخية لبداية وتطور أيّ مجتمع. وأضاف إلى مجموع العوالم السابقة؛ العلاقات الاجتماعية والتي أطلق عليها الشبكة. وتنعكس قوة الخيوط التي تنسج هذه الشبكة في وجود الأخلاق التي يطمح إليها المجتمع لبناء الحضارة، وفي المقابل ضعف العلاقة يؤدي إلى تمزق هذه الشبكة في حالة غياب الأخلاق. وحسب "بن نبي" أن انطلاق الحضارة لأيّ مجتمع؛ تكمن في تخلي الفرد عن فرديته وتحليه صفة الاجتماعي بوضع روابط لعلاقاته مع باقي أفراد المجتمع في صورة منسجمة. والتنظيم عند "بن نبي" لولادة مجتمع يرتبهم إلى ربط العلاقات داخل المجتمع (النجار، 1980، الصفحات 87-93).

ومن بين المفاهيم التي قدمها "بيير بورديو" حول الرابط بين أفراد المجتمع؛ هو الرأس المال الثقافي والاجتماعي، ودورهما في بناء شبكة العلاقات بين الفاعلين داخل المجتمع. على غرار "كارل ماركس" الذي يرى أن الروابط الاجتماعية هي رهان الرأس المال الاقتصادي وتُبنى من خلاله العلاقات بين الفاعلين إثر الصراع الطبقي. يؤكد "بيير" على أن التفاعل الاجتماعي للفرد والجماعة في الحقول الاجتماعية لبناء علاقات ينطوي على تبادل الثقة المشتركة لتحقيق الغرض من الرابط الاجتماعي

(رشيد ب.، 2022، صفحة 125). فشبكة العلاقات التي يقيمها الفاعلون تحافظ على الفاعلية واستدامتها بين أفراد الجماعة، في حاجة إلى مزيد من الإدراك والوعي المتبادل. ولهذا يرى "بيير" أن الرأس المال الاجتماعي هو قدر من الروابط والعلاقات القوية التي يكتسبها الفرد والجماعة مرتكزة على الفهم والذكاء الاجتماعي في ظل جماعة معينة، أسرة، نقابات، أحزاب وغيرها من الانتماءات داخل المجتمع، فيمنح السند والثقة وتحقيق الأمان الجماعي. فحجم الرأس المال الاجتماعي للفاعلين يعتمد على مدى قوة الروابط للعلاقات الممكن إدارتها بكفاءة اعتماداً على رؤوس المال الثقافية والرمزية التي يمتلكونها الفاعلون المشاركون في شبكة العلاقات الاجتماعية (رشيد ب.، 2022، صفحة 127).

3. خاتمة:

وأخيراً يمكننا القول أننا لم نجد تعريفاً صريحاً لمفهوم الرابط الاجتماعي وإنما هي رؤى وتوجهات تحمل في مضامينها واقع العلاقات داخل المجتمع، فالعصبية عند "ابن خلدون" ويُقصد من خلالها الرابطة المعنوية، التي تجمع أبناء القبيلة الواحدة عبر القرابة. فهي من تؤسس للولاء إلى أفكار موحدة تتلخص في نصرة بعضهم البعض. ونجد كذلك نظرية العقد الاجتماعي، التي تعود في أصولها إلى الفلسفة القديمة. فنجد أفلاطون يؤكد على أنه لمجرد تواجد الأشخاص في مجتمع ما يجعلهم ببساطة يمنحون الموافقة الضمنية لسلطة هذا المجتمع عليهم. وفي جزئية من كتابه "القوانين" أشار للعلاقة التي تربط الجماعات بينهم على أنها تعتمد على ديناميكية الحاكم والمحكوم. ثم انتقل هذا المفهوم ليصل إلى الفلسفة السياسية الحديثة عند "جون هوبز" ورؤيته حول العقد الذي يكون فيه الفرد خاضعاً لقوانين مقابل الحماية داخل المجتمع، كنوع من الرابطة التي توطن العلاقة بين مختلف فئات المجتمع. وتبني أيضاً "جون لوك" هذه النظرية على أساس أن يكون الحكم مقيداً ويضمن للفرد الحرية والمساواة في تنظيم علاقاته الاجتماعية،

على خلاف الرؤية السابقة التي ترى بمطلق الحكم. ومن المنظرين لهذه النظرية كذلك نجد "روسو"، في وجهة نظر يرى فيها أن الإنسان خيّر في طبعه، ولكن تزايد عدد تجمع الأفراد قد يحدث فوضى، لهذا دعا إلى اللجوء إلى عقد اجتماعي لتعزيز الروابط الاجتماعية وتماسكها داخل المجتمع.

وفي ختام البحث؛ نقول أنّ التفاعلية تتمّ وفق سلوكيات وانفعالات تكون أحياناً فردية تحدث ما بين فردين، أو تفاعلات جماعية تتعدى لأكثر من شخصين، ونجد تفاعلات مباشرة مثل التي تحدث بين أعضاء الأسرة، وغير مباشرة تنعكس في التفاعلية ما بين المجتمعات. وأحياناً تكون التفاعلية تلقائية، كالقاء التحية والرد عليها، وفي المقابل قد تكون عرضية تحدث لمعالجة أمر طارئ في المجتمع. وهناك تفاعلية دائمة أو مؤقتة لتحقيق ضرورة اجتماعية. ومن التفاعلات الاجتماعية كذلك ما تكون ايجابية قائمة على التعاون والمشاركة، أو سلبية قائمة على التنافس والصراع. وبالنسبة لأهمية هذه التفاعلات، يكمن في إشباع حاجات اجتماعية واكتساب خبرات وقيم وعادات داخل المجتمع، وكذلك ضرورة لبقاء واستمرار الجماعة. وفي الأخير فإن أهمية التفاعل تعدو على الفرد والجماعة بالاجابية إذا كان هناك تعاون يتم وفق ضوابط، لتقوي الروابط الاجتماعية.

قائمة المراجع:

- خالد النجار. (1980). مالك بن نبي. القاهرة: مكتبة النور الالكترونية.
- عبد الرحمن بن خلدون. (2012). مقدم ابن خلدون الجزء الاول. القاهرة: دار النهضة مصر.
- رشيد بن راشد، حسنية بلحاج. (2022). الروابط الاجتماعية والعزلة الاجتماعية : استخدام الهاتف الذكي نموذجا. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية , 10(01), 114-134.
- رشيد بن راشد، حسنية بلحاج. (2023). استمرارية التفاعلية في استخدام الهاتف الذكي: قراءة في أفكار "شيري توركل". مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية , 17(01), 99-109.
- رشيد بن راشد، حسنية بلحاج. (2022). القيم الاجتماعية في بناء الهوية الحديثة . مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية. 774 ,
- أحمد مختار عمر. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.
- ماكس فيبر. (2018). نماذج الاتصال ونظريات التأثير السلوكي للدكتور حسام الدين فياضي. القاهرة: مكتبة النور الالكترونية.
- كاظم مؤنس. (2017). نماذج الاتصال ونظريات التأثير السلوكي. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- جون ستيورات ميل. (1961). أوغست كونت والفلسفة الوضعية. القاهرة: مكتبة النور الالكترونية.